

المفارقات الزمنية في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج

الأستاذة : وهيبة عجيري

قسم الآداب واللغة العربية

كلية الآداب و اللغات

جامعة جيجل- (الجزائر)

Résumé:

Le Temps est considéré comme un des éléments essentiels dans la structure du discours narratif, c'est pour cela on pourra analyser les interférences dans l'opération narrative, à partir cela on a voulu aborder les anachronies : (l'Analepse et le Prolepse) dans le roman « Al-Amir » de Waciny Alarej pour savoir comment il a investi ces techniques narratifs temporels pour montrer l'esthétique du la création, et comment il a pu exprimer en utilisant ces éléments pour faire la différence entre le temps historique et réel et le temps imaginaire et l'influence de ce déchirement temporel au niveau de la réception du lecteur et au niveau du changement des évènements ?

ملخص:

يعد الزمن أحد المكونات الأساسية في بناء الخطاب الروائي، وبه يمكن الوقوف عند تلك التداخلات القبيلية، والبعديّة في عملية السرد الحكائي؛ لذا ارتأينا الوقوف عند هذه المفارقات الزمنية(الاسترجاع والاستباق)في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج، لمعرفة كيفية اشتغال المؤلف على مثل هذه الفنيات السردية الزمنية لسط جاليات العملية الإبداعية، وكيف استطاع أن يعبر بالاعتدال على هذه العناصر على تلك الفروقات الحاصلة بين الزمن التاريخي الواقعي، والزمن الفني المتخيل.؟ ، وما لهذا التفسير الزمني من تأثير على مستوى استقبال القارئ، وتغيير مجرى الأحداث.؟

لقد اهتم الدارسون بالزمن، وتفننوا في معرفة كيفية الفصل بين الواقعي منه، و المتخيل على مستوى الخطاب الروائي، ونحن بدورنا سنحاول فيما يلي فهم زمن الخطاب السردى من خلال دراسة الاسترجاعات، والاستشرافات التي احتوت عليها رواية (كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد) للروائي الجزائري واسيني الأعرج لتقف عند تلك التجاوزات الفنية في التعامل مع هذا الاخير(الزمن) لإحداث نوع من التضافر بين الواقع و الفن، و سنبدأها بالارتدادات الورائية :

1-الاسترجاع (*Rétrospection*): يعنى بهذه الفنية « استرجاع الأحداث الماضية بحيث يقطع (الكاتب) السرد ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في ترتيب زمن السرد عن مكانها الطبيعي في زمن القصة.». (1)

وهو بدوره ينقسم إلى قسمين الداخلي و الخارجي وسنحاول معرفة كيفية اشتغال كل منها في نص الرواية.

1-1-الاسترجاع الداخلي *Enternal Analepsis* : و المقصود به ضمن الخطاب السردى هو ذلك النوع « الذي يستعيد أحداثا وقعت ضمن زمن الحكاية؛ أي بعد بدايتها و الصيغة المضادة للاسترجاع الخارجي.». (2) و يميّز فيه بين نوعين من الاسترجاعات الداخلية :

1-الاسترجاعات الخارج حكاية، غيرية القصة : « وهي الاسترجاعات التي تتناول خطأ قصصيا؛ أي مضمونا قصصيا مختلفا عن مضمون الحكاية الأولى.». (3)

وما أكثر هذا النوع من الارتداد في رواية كتاب الأمير لاحتوائه على مضامين حكاية مختلفة عن مضمون القصة الأولى، وعادة ما يستعمل لإبراز هذا النوع من النص طريقتين، إما عن طريق إقحام شخصية جديدة في النص مثلما فعل واسيني الأعرج عندما أدخل شخصية القاضي أحمد بن طاهر، وأراد إضاءة سوابقها بقوله: « الموت والسحق للخونة الموت للقاضي أحمد بن طاهر الذي باع دينه وعرضه ووطنه للكفار وتعامل مع النصرانيين الغزاة المشنقة. الله أكبر. الله أكبر... ». (4)

الطريقة نفسها استعمالها في استعادته لشخصية ابن دوران «أعرف أنهم قالوا عنه الكثير. وأنه استولى على كل ذهب الياي لكن الذي أعرفه جيدا هو أنه كان ثقة كبيرة ، معرفة قديمة بالنسبة لوالدي بينها علاقة كبيرة، فقد منحناه كل الصلاحيات .كان حلقة الوصل بيننا وبين الفرنسيين .». (5)

السارد في رواية كتاب الأمير عندما أقم كل من شخصية القاضي، وابن دوران عمل على إضاعة ماضيها، ولكي يعطي للقارئ مبررا مقنعا لتبرير أسلوب التعامل معها من خلال تحديد سلوك كل منها، وعلاقته بغيره من الشخصيات، وهنا تبرز علاقة الزمن بالشخصية . فباسترجاع السارد لهذه الشخصية، وارتداده إلى الماضي يكون الخط المساري للقصة قد مضى؛ لأن الزمن في تحرك مستمر، وبذلك يحدث التباين بين الزمنين.

رغم أن هذه الأحداث تعد استرجاعات غيرتة خارج بناء الحكاية الأولى، إلا أنها لا تؤثر على أحداثها، وإثما تبقى ذاكرة عالقة في ذهن السارد يسترجعها كلما توفر المثير الذي يعمل على تنشيطها .

قلنا إن الاسترجاعات الخارج الحكائية يكون بطريقتين ذكرنا الطريقة الأولى، أما الطريقة الثانية: فهي استعادة الماضي القريب لشخصية غابت عن الأنظار لفترة من الزمن، وهذا ما يتجسد في استعادة ماضي شخصية (سيدي مبارك) أثناء قيامه بالمهمة التي كلفه بها الأمير في الأراضي المغربية « أيام الحرب جعلت سيدي مبارك يقرأ حسابا خاصا لكل التفاصيل وأن لا يستهين بالأشياء التي تبدو صغيرة وهي ليست كذلك منذ أن شرف في جويلية 1837 بأخذ مكان عمه الحاج محي الدين الصغير الذي مات بوباء الريح الصفراء (الكوليرا) التي عمت مدينة مليانة .استقر بالمدينة وبقي بها حتى تحللت معاهدة تافنة في 1839 .فقد إحدى عينيه بسبب حادث تافه ولهذا من الصعب ضبط نظرتة ووجهتها عندما يخرز إنسانا محمدا . مارس ضغطا كبيرا حتى لا يتم تسليم القليعة للفرنسيين بموجب معاهدة تافنة ولكنه استسلم في النهاية لضغوطات الأمير عبد القادر .». (6)

السارد ألقى النظر على ماضي شخصية سيدي مبارك ليزيح الغموض المحيط بهذه الشخصية، وليحدّد للقارئ أهم الملامح الخارجية، والبناء النفسي الذي تتصف به ،وقد

قرن ذلك بالأزمات، والأحداث التي تعرضت لها مثلما فعل عندما استرجع حادثة فقدان عينه التي لم يصرح بالضبط عن طبيعة الحدث سوى أنه تافه ليوضح الأسباب التي تحول بينه وبين تحديد وجهته .

إن بعث الأمير سيدي مبارك إلى المغرب جاء مباشرة بعد سقوط الزمالة على يد الكولونيل يوسف في **10 ماي 1843**، وبمقارنة هذا الزمن بزمن القصة الحاضر؛ أي اللحظة التي يتوقف فيها زمن القصة، لترك المكان للمفارقة الزمنية **28 جويلية 1864**، يكون مدى المفارقة الزمنية بعيدا جدا يقدر بـ **واحد وعشرين (21) سنة**، رغم أن الاسترجاع ككل يشغل صفحات ما بين **(313 إلى 318)** .

أما سعة المفارقة الزمنية فلا تتعدى نصف يوم، ونشير هنا إلى أن المثال الذي أوردناه عن الاسترجاع الداخل حكائية ورد ضمن الاسترجاع الداخلي ككل، لذلك لما قمنا بقياس السعة والمدى قسنا الاسترجاع الداخلي ككل.

مما تقدم نخلص إلى أن الوظيفة الأولى للاسترجاعات الداخل حكائية في النص، تساهم في بناء حيثياته من خلال كشف الملامح العامة للشخصية، وهذا دليل على أن الشخصية هي الأخرى عنصر ملازم للزمن، وتتأثر بالتغيرات التي تطرأ عليه، وبذلك يساهم في إنارة حاضر زمن القصة عن طريق استرجاع ماضي الشخصية .

-**الاسترجاعات الداخل حكائية** : وهي التي تتناول خط العمل نفسه الذي تتناوله الحكاية الأولى .

وهنا تكون الأحداث المسترجعة داخل الحكاية الأولى؛ أي ضمن مضمون القصة، ونميز فيه **ثلاثة أنواع** :

-**الاسترجاعات الداخل حكائية المثلية التكميلية** : « يضم المقاطع الاستيعادية التي تأتي لتسد بعد فوات الاوان فجوة سابقة في الحكاية.» (7)

يشكل هذا الاسترجاع دورا كبيرا في ملء الثغرات الاستثنائية بإكمال سيرورة الحكيم، والربط بين زمن القصة، وزمن الخطاب المسترجع ومثاله : ما أورده السارد عن ندالة مصطفى بن إسماعيل، وتأميره ضد مصلحة الوطن يقول ابن دوران: « **هددت مصطفى بن**

إسماعيل آغا الدواوير والزماله وأبطلت العملية ضدّهم عندما عادوا إلى جادة الصواب بعد خطبة الجمعة لكن مصطفى كعادة الأتراك عاد وغزا كل من ليس معه». (8)

ذكر السارد العداوة المبطنّة بين الأمير، ومصطفى بن إسماعيل، ولكننا نحس في الآن ذاته بنوع من الغموض لعدم معرفتنا بالأسباب التي أدت لتهديد ابن دوران له، فنلتقى أن الكاتب يعود في الصفحات اللاحقة ويذكر بقية التفاصيل، ولكن بعد فترة طويلة من الحكيم من صفحة (107 إلى 308) نجده يقول « لقد قدم خدمة كبيرة لأعداء دينه وأرضه على رأس ستائة خيال وسلمه كلوزيل عندما سارع لنجدته، صليب ليف الشرف في ساحة المشور نفسها في 06 فبراير 1836، كان وراء تدمير تكدامت لأنه كان الأكثر معرفة بأسرارنا للأسف. فهو من جلدتنا. كل الناس رأوا حقه الأعمى وهو يحرق الكتب ويدمر القلاع ومصانع البارود ويمرغ الوجوه الكريمة في الوحل ويقول للمشتكين: هذا ما أراده لكم سيدكم السلطان عبد القادر أريحوا البلاد من تراثحون». (9)

إن سوء أعمال مصطفى بن إسماعيل وما اتصف به من كره جعلت الأمير يسترجع حقيقته العالقة في ذاكرته، وذاكرة كل من عانى من جرائمه لسدّ ذلك النقص الظاهر في بداية الرواية، وتسببه في عرقلة استمرارية الحكيم، فينتظم الحكيم عندما يسدّ هذا النقص ولكن بعد فوات الأوان مما خلق نوعا من المفارقة الاستراتيجية، و النوع نفسه نجده يشغل أثناء ذكر حادثة إعدام سجناء سيدي إبراهيم، ففي بداية الرواية، وبالضبط في الصفحة (29) ذكرت الحادثة أثناء مناقشة مصير الأمير في إحدى جلسات البانكي، إلا أن ذكر هذه الحادثة كان مقتضيا جدا دون ذكر لبقية التفاصيل عدا الفقرة التي أوردوها أثناء المناقشة «يجب أن لا ننسى أبدا أن هذا الرجل الذي تدافع عنه اليوم، ذبح أكثر 300 سجين فرنسي في يوم واحد، إذا كنتم تعتبرون هذه الجريمة أمرا هينا، فأطلقوا سراحه ومرغوا شرف هذه البلاد في الأحوال». (10)

ولم تتح لنا معرفة حقيقة هذه الحادثة إلا من خلال التلميحات الاستيعادية التي ذكرت بعد فترة طويلة جدا من الحكيم (من الصفحة 29 والاسترجاع كان في الصفحة 354).

النقص في الاستمرار الزمني اكتمل عندما استعاد السارد الصورة العامة للحادثة، وذكر أدق تفاصيلها. « في الظلمة الدامسة لم ير إلا بريق السكاكين وهي تلمع تحت ضوء القناديل الزيتية الخافتة ولم تسمع إلا الصرخات المكتومة والحشرجات الكثيرة التي ظلت تملأ المكان بصوت أشبه إلى الأبد. كانت السكاكين تنغرس في الرقاب المتعبة بدون مجهود كبير إلا عندما تلاقي عظام الرقبة حتى أن الكثير منهم كانت رؤوسهم تنخلع بسرعة ولا تكفي الجلمة الهشة للحفاظ عليها. ». (11)

كان هذا الاسترجاع وسيلة لتبرئة تهمة الأمير، ومسؤوليته اتجاه العمل الذي قام به مصطفى بن التهامي، الذي لم يجد أمامه سوى هذا الحل، فالدائرة كانت تعاني ضغوطا من كل النواحي، وترك وحيدا بعد أن التحق البوحيمدي بالأمر ومخافة وقوع السجناء بيدي العقون، واستغلالهم من طرف حاكم المغرب .

فهذا التأخر مقصود من واسيني الأعرج للملائمة سيرورة الحكي بمقام الاسترجاع، وليمكن القارئ من استيعاب وإدراك الصورة بشكل أوضح .

لقد ساهم هذا النوع من الاسترجاع في تحقيق وظيفة الربط بين زمن القصة، وزمن الخطاب، لولا صدوره لعانت الرواية من ثغرات، ونقص محل البناء العام للأحداث الروائية .

– الاسترجاعات الداخلة حكاية التكرارية : « يقصد بها تلك الاسترجاعات التكرارية، أو تذكيرات، الحكاية في هذا النمط تعود على أعقابها جهارا و أحيانا صراحة (.....) بل تكون تلميحات من الحكاية إلى ماضيها الخاص. ». (12)

وهو النوع الثاني من أنواع الاسترجاعات الداخلة حكاية، ويتجسد هذا النوع من خلال رواية كتاب الأمير في تماثل ما حدث للأمير مجاذة نابليون، وما فعلته فرنسا مع الأمير، التي قامت بسجنه بعد أن ظن أنه سينتقل وعائلته إلى بروسة، و الوقف نفسه تكرر مع نابليون، الذي غدا سجينا لدى الإنجليز، وكان يعتقد أنه سينجو من السجن «كل المحيط مغشوش أو خائف على مصالحه، ولم يبق أمامي إلا الرئيس وكل الذين سألتهم أكدوا لي أن نابليون يعرف جيدا ما معنى أن يعيش الإنسان منفيا ويدرك بعمق الإنسان وهو

يواجه الكذبة القاسية مثلما فعل الإنجليز مع نابليون عندما قادوه سجيناً على متن سفينة كان يظنها مركبة النجاة. التاريخ يا عزيزي جون يدرك أصحابه إن آجلاً أو عاجلاً». (13)

التماثل بين الحدثين هو المحفز الأساسي الذي دعا إلى استرجاع حادثة نابليون وإسقاطها على ما حدث للأمير بتكرار فعل السجن ، هذا الفعل الذي سيجعل فيما بعد الرئيس نابليون يطلق سراح الأمير لإحساسه بنفس المعاناة .

إن إدراج مثل هذا النوع في الرواية يحقق وظيفة المقارنة بين حدثين يتشابهان في التخطيط والمضمون، ويختلفان في الأطراف الفاعلة والمفعول بها .

إلى جانب هذا المثال نورد مثالا آخرًا يجسد الاسترجاع التكراري أكثر.

إن ما حدث لمونسنيور من منفي وخروجه من الجزائر ليلا كسارق ارتكب جريمته ولاذ بالهرب، فالمعاناة والألم الذي سببته هذه الحادثة جعلت مونسنيور يتذكر الموقف نفسه مع المارشال دوبر مونت (MARECHAL DE BOURMONT) « بعدما سلم للجنرال كلوزيل قيادة الأمور في الجزائر اضطر هو بدوره لمغادرة تلك الأرض ليلا، في سفينة متساوية بعيسة ولم يأخذ معه إلا قليلا من أغراضه الشخصية و مأساة ابنه». (14)

هذا الاسترجاع أيضا أورده الكاتب لمقارنة التماثل بين ماضي قريب وهو ما حدث لمونسنيور؛ لأنه أيضا يدخل ضمن الاسترجاع، وماضي بعيد وهو ما حدث للمارشال دوبرمونت، فالتذكر هنا كان تذكرا إراديا بدليل أنه استرجع هذه الحادثة دون غيرها .

سمة التكرار هي السمة المميزة لهذا الاسترجاع، لأن الزمان بوصفه تجربة « تتميز في جوهره بالتواتر والتكرار، فهو ينطوي على دورات متعاقبة للأحداث». (15)، مما أكسبه ميزة الازدواجية الجامعة بين الحاضر والماضي .

-الاسترجاعات الجزئية : وهي تلك الاسترجاعات « التي تروي لحظة من الماضي تظل معزولة في تقادمها، ولا يسعى في وصلها باللحظة الحاضرة . ». (16)

إن هذا النوع من الاسترجاعات يتحدد بإدخال عنصري المدى والسعة، ومثاله في الرواية « هكذا يسميه العارفون ورجال البلاد الصالحون وزوار الزاوية القادرية الآتون من بعيد منذ الصباح، تبدأ فلول الجراد الأولى تسقط على سهل أغريس مشكلة مظلمة سوداء

على الحقول و المزارع حتى حوافي وادي التمام الساخن تصير صفراء من كثرة الجراد العالق بالأطراف وبشجيرات الديدس والمارمان التي تكسو أطراف الوادي .» (17)

إن هذا الخبر غير موصول بالحظة الحاضرة بأي شكل من الأشكال، وقد أورده الكاتب لنقل خبر مجهول لدى المتلقي، وهذا الخبر يمكن حذفه حذفاً صريحاً دون أن يؤثر على مسار الحكيم، باعتباره خبراً جزئياً استرجعه السارد لإيضاح جوانب محددة من النص، وإكسابه دلالات محددة، وبه يتمكن القارئ من التعرف على سبب تسمية العام بالأصفر ليزيح الغموض، وليتمكن القارئ من ربط خبر سبب التسمية بما يليه من أحداث .

أيضاً نجد الاسترجاع الجزئي في توضيح سبب خرس الرجل الأحمب الذي يقوم بالعبارة بمقام لالا مغنية صغير، والذي يعد جزءاً منعزلاً عن المحكي الأول « أثناء مرور الأمير وبعض قاداته الذين قضوا الليلة هناك تعرف بدون قصد منه على الكثير من أسرارهم وخباياهم. في الصباح كان يقبض على لسانه بخرقة احمرت من كثرة الدم. قال لأغا المنطقة أنه لا يستطيع أن يصمت وأنه سيحكي للزوار كل ما سمعه عن الأمير وأنه من الأحسن قص لسانه. » (18)

إن هذا الخبر بعيد تماماً عن العلاقة التي جمعت الأمير بالقس، والمعارك التي خاضها الأمير، وغير ذلك من الأحداث الرئيسية التي تدخل ضمن الحكيم، ورغم ذلك لا يعد هذا الخبر نشازاً؛ بل يسهم في زيادة وعي المتلقي من خلال تزويده بالمعلومات اللازمة

2-1. الاسترجاع الخارجي: (*Analepse Externe*) : « هو ذلك الاسترجاع الذي يتناول حادثة أسبق من المنطلق الزمني للحكاية الأولى، وبذلك تظل سعته كلها خارج سعة الحكاية الأولى، الاسترجاعات الخارجية لا توشك في أي لحظة أن تتداخل مع الحكاية الأولى، لأن وظيفتها الوحيدة هي إكمال الحكاية الأولى عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك. » (19)

إن معظم الاسترجاعات الواردة في هذا النوع تتناول أحداثاً أسبق من المنطلق الزمني للحكي، أو هي في ذاتها تمثل حكاية ثانية عمد الكاتب إلى إضافتها بعد قطع الحكيم، لتحقيق

أغراض تساهم في بناء دلالة النص، ولمعرفة كيفية اشتغال هذا النوع من الاسترجاعات في رواية كتاب الأمير سنستعين ببعض النصوص .

إن السارد في الوقفة الأولى (من الأوهام الضائعة) عندما يسترجع على لسان لبرانس دولا موسكوف (LE PRINCE DE LA MOSCOVA) الشخصيات المائة للمائة للأمير عبد القادر في استسلامه، كذكره لاستسلام سينترا « فقد استسلم سينترا وبشروط لم تعجب الإنجليز في النهاية. رفضها البرلمان الإنجليزي مثله مثل الرأي العام، ولكن في النهاية تم تنفيذ بنود اتفاقية الاستسلام وسمح لجيشنا أن يعود بعتاده وأسلحته. في إنجلترا يا سادتي تم التأسف على الاتفاقية المحضة ولكن نفذوها، ما الذي يمنعنا اليوم من فعل الشيء نفسه مع اتفاقية سيدي إبراهيم». (20)

و من خلال هذا الاسترجاع وغيره من الاسترجاعات نلاحظ أن الأعضاء الفرنسيين دائماً عندما يأتون لاتخاذ قراراتهم ضد الجزائر، يقارنون ذلك بما فعل فيهم أثناء الاحتلال الإنجليزي، فما طبق عليهم من طرف الإنجليز سيطبقونه في تجاربهم على الشعب الجزائري، وكأنه نوع من التفرغ للمكبوتات التي عانى منها الشعب الفرنسي مدة طويلة . كما نستنتج أن الكاتب كان يتحدث عن قضية الأمير، ونجاة قطع الحكي وعاد إلى الماضي البعيد ليسترجع تلك الفترة من التاريخ الفرنسي لإسقاطها على الحكم الذي سيتخذه المجلس اتجاه القضية المطروحة أمامه، وبهذا يتوافق زمن الحكاية الأولى (قضية الأمير) مع زمن الحكاية الثانية (قضية سينترا) في المضمون .

وأيضاً نجد الأمير يسترجع جزءاً من حياة بعض خلفاء التاريخ الإسلامي، وعلمائه الذين طعنوا من ذوبهم فيقول «لا ألوم أحداً، لدينا ما هو أسوأ في تاريخنا الإسلامي. معظم خلفائنا مروا على النصل قتلوا من ذوبهم كبار علمائنا أحرقوا، وابن المقفع شوي حيا، الخلاج مزق قطعة قطعة، ابن رشد كاد أن يحرق مع كتبه لولا ضربات الحظ، ابن عربي اتهمه الجبهة بالمروق». (21)

فهذه كلها أمثلة للاسترجاعات سعتها واقعة خارج حكاية الأمير؛ أي إنها حدثت في زمن يفوق زمن بداية أحداث المدونة .

و من هنا يمكن القول إن وظيفة هذا الاسترجاع وظيفة مزدوجة، **وظيفة إعلامية** من ناحية، و**جمالية فنية** من ناحية أخرى، إعلامية من خلال ما تضيفه على ذهن القارئ، سواء أكانت أخباراً جديدة تخص شخصيات الرواية، أم معلومات إضافية تخدم الحكي، وجمالية ما تساهم به في تعديل البناء السردي رغم تعارضها مع زمن الحكاية الأولى، إلا أن ذلك لا يؤثر على عملية القص .

إن ما اتصفت به أحداث الرواية في سيرورة أحداثها التنازلية حفز الكاتب على الإكثار من الاسترجاعات الخارجية في تشكيل النسيج الروائي .

3-1. الاسترجاعات المختلطة : إن هذا النوع من الاسترجاعات نادر جداً في النصوص الروائية، وقلماً يلجأ إليه الكاتب، فاشتغاله في منظومة الحكي ضيق جداً؛ إذ يجمع بين النوعين السابقين في الآن ذاته ، فيمتد من الاسترجاع الخارجي حتى تراه ينظم إلى الحكاية الداخلية . 22 .

وسنحاول فيما يلي توضيح بعض جوانبه من خلال المثال التالي: **« فرأى الأمير طفلاً يركض على حافة وادي الحمام ثم وهو يقطع البحار و القفار مع والده باتجاه القيام بمناسك الحج وزيادة علماء القاهرة والتوقف في مقام سيدي عبد القادر الجيلالي ببغداد، ودمشق والبقاء قليلاً بمقام ابن عربي الذين كان مريدوه يخلقون قبره وينظرون بركاته ثم العودة وركوب الأحصنة ومتاعب السلطان في سنواته الأولى»**. (23)

و يبدو أن بداية هذا الاسترجاع تدرج ضمن الاسترجاع الخارجي؛ لأنها تتحدث عن أحداث حدثت قبل زمن المحكي الأول؛ أي قبل مضمون الرواية أيام طفولة الأمير عبد القادر، والرحلات التي قام بها مع والده، أما نهاية الاسترجاع تنتمي إلى الاسترجاع الداخلي؛ أي تدخل ضمن الأحداث التي يتحدث عنها الراوي؛ أي عندما عين الأمير سلطاناً على عشيرته، وما جاورها بعد مبايعته .

وبذلك يكون مدى هذا الاسترجاع بعيداً يمتد إلى ما قبل المحكي الأول؛ أي بداية المضمون، وسعته لاحقة للمحكي الأول ولذلك وسم بال**مختلط خارجي في المدى وداخلي في السعة** .

2- الاستباق : وهو « مخالفة لسير زمن السرد تقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يكن وقتها بعد» . (24)، وقد أطلق عليه جيرار جنيت اسم (الاستشراف)، وهذا النوع من المفارقات عادة ما يكون أقل تواتراً من الاسترجاعات، ونجده بالخصوص في

الحكاية التي تسرد بضمير المتكلم، وذلك بسبب ما يميزها من طابع استعادي، يرتخص للسارد في تلميحات إلى المستقبل، وذلك يندرج ضمن الدور الذي يقوم به . من خلال الدراسة والتحليل يمكن أن نذهب إلى أن الاستباق في رواية كتاب الأمير قليل جدا مقارنة بالمفارقة الزمنية الأولى (الاسترجاع)، لذلك نجد أنه يظهر في الرواية عبارة عن تلميحات عامة تظهر هنا وهناك، ذات التواتر القليل، ولذلك نميز بين نوعين من الاستباق الداخلي والخارجي .

1-2. الاستباق الداخلي: وهو الذي « عادة ما يطرح نوعا من المشاكل وبالأخص مشكلة التداخل؛ أي مشكلة المزوجة بين الحكاية الأولى، والحكاية التي يتولاها المقطع الاستباقي.». (25) وهذا النوع من الاستباق يتضمن نوعين من الاستباقات وفيه نوعان: الاستباق الداخلي حكاية، والاستباق الخارج حكاية .

-الاستباق الداخل حكاية: أي التي تضم قصة مماثلة للقصة الأولى، وهذا النوع بدوره يصنف إلى صنفين :

-الاستباق الداخل حكاية التكميلي: وهي تلك الاستباقات « التي تسبب مقدمات ثغرة لاحقة في الحكيم وتعوض عن حذف أو قصصات مقبلة في الحكاية ». (26)

لقد تطلع الأمير إلى مستقبله بمجرد زيارة الرئيس نابليون له في قصر أمبواز، لذا نجده يرى نفسه و هو «يعبر شوارع بروسة متوجها إلى أكبر مساجدها أو منتدياتها الثقافية رأى نفسه في الجامع الأموي بدمشق يمتشق كتابا ضخما أو مخطوطة من مخطوطات المعلم الأكبر محي الدين بن عربي .». (27)

إن الأمير بعد زيارة الرئيس أدرك حقيقة وصوله إلى تركيا، وتحقق حلمه لذا راح يسبح في تطلعاته، ويضع برنامجا لنفسه عند زيارته هذه المدينة، وبالفعل بعد تتالي الأحداث الروائية تحقق ما كان يصبو إليه بمجرد ركوبه الباخرة متجها إلى بروسا في «11 ديسمبر 1852». (28) ؛ بمعنى أن الاستباق تأكد بمجرد تحققه .

والملاحظة الأخرى التي نلاحظها على هذا المثال عدم تكرره في الأحداث اللاحقة، بل اكتفى الكاتب بما أورده في البداية لتأكيد حدوثه في مسار الرواية فقط .

كما ورد هذا النوع من التلميحات التي أوردتها مونسينيور، وجزمه من أن الرئيس الفرنسي سيقراً رسالته بمجرد الانتهاء منها .

« رأى عيني الرئيس وهما تقلبان الكلمات واحدة واحدة بحثا عن معانيها الدقيقة ويني في الوقت نفسه من خلالها ، صورة جديدة لرجل سرقت منه الوعود جزءا كبيرا من حياته وقي صامدا أمام عوارض الأيام القاسية.» (29)

مونسينيور جزم مسبقا أن رسالته ستصل إلى الرئيس، وقرأها قبل حتى أن ينتهي من كتابتها، ولكن بعد توالي الأحداث، تحقق تأكيد جزم القس، وبالفعل قرأ الرئيس رسالته، وتم إطلاق سراح الأمير رغم أن واسيني الأعرج لم يذكر مطلقا فيما بعد الحدث الذي يصور نابليون وهو يطالع على ما كتبه مونسينيو؛ بل انتقل مباشرة إلى زيارة الرئيس إلى قصر أمبواز. ويظهر أن السارد في كلا المثالين يجزم بتحقق الاستباق، ويصبغه بصبغة يقينية تزيد من واقعية الأحداث، وثبتت قيمتها الجمالية أكثر عندما تأكدت .

-الاستباق الداخلى حكاية التكراري : وهي الاستباقات التي تضاعف مقدا مقطعا سرديا آتيا، وهذا النوع قلما يوجد إلا في التلميحات الوجيزة . (30)

السارد في رواية الأمير ذكر بعض الاستباقات التكرارية، ومنها الاستباق الذي أوردته عندما كان يسرد ما قامت به القوات الفرنسية بقيادة دوميشال والكاين كافيديك من هجوم ضد قبائل الغرابة « عندما بدأت الملامح الأولى للفجر تتضح، بدأت قوات الجنرال دوميشال تزحف نحو أهدافها التي كانت قد حددت في البداية تحركت ككتلة واحدة ثم انفصلت فرقة القناصين والمدفعين الجبلين وفرق المشاة العشر. كان الهجوم كاسحا، فقد تم تدمير المراكز المتقدمة التي لم تكن تملك أكثر من بعض البنادق التي لم يكن لها وقت الاستعمال وبعض السيوف التي لم تخرج من أغمادها.» (31) إن هذا الهجوم الشنيع جعل كل من دوميشال والكاين كافيديك في حالة تأهب لهجوم معاكس « لم تكن حربا كما توقعها الجنرال دوميشال والكاين كافيديك اللذان كانا ينتظران ردة فعل قريبة مما يفعله الأمير عادة.. » (32)

بهذا التصريح، جعل الكاتب المتلقي في حالة انتظار وتطلع لإمكانية حدوث هذا الرد، أو عدم حدوثه، إلا أن هذا الانتظار لم يطل فسرعان ما تحقق الرد بهجوم الأمير « رفع الأمير الرايات البيضاء المختومة بيد مفتوحة كتب حولها بخط واضح: نصر من الله قريب. على الساعة الثانية صباحاً بدأ هجومه بهدف المباغثة. كان يتقدم القوات، مدفع محدود المدى وآخر جبلي تم تصليحه قبل بدء الهجوم بقليل». (33)

إن مدى هذا الاسترجاع كان مدى قصيراً جداً لا يتجاوز خمسة عشر سطراً، وتفسير ذلك أن الكاتب تجنب وقوع القارئ في حالة من الذهول والانتظار تفقده القدرة على التركيز، والاستيعاب، وتجنبه أيضاً العديد من التفسيرات التي يخلقها لسد الثغرات التي تحول بينه وبين فهم النص .

وأيضاً نجد الاستباق التكراري في قوله « أتمنى أن يمديني الله بعمر آخر لأخدم هذه الأرض التي حرمت منها في وقت مبكر. سأعطيها رفاة الجسد إذا كان رماذ تربتي يسكت الأحقاد ويوقظ حواس النور والحب في قلوب الناس . لم يكن مونسينيور يدري أنه كان يقطع وعداً على نفسه سيكبله حتى موته». (34)

قبل موت مونسينيور أوصى خادمه جون موي بأن يقوم بنقل بعض التربة من بوردو، وينثرها في بحر الجزائر، فقد أوصى مونسينيور بهذه الوصية وهو يتطلع أن تكون هذه التربة هي سبيله في تحقيق الهدنة والسلام بين الطرفين، وبالفعل فقد تحققت الوصية، وحمل جوني موي التربة إلى بحر الجزائر، إلا أن التطلعات الاستشرافية التي كان يأملها مونسينيور لم تتحقق، فالقارئ بمجرد قراءة الرواية وربطها بالتاريخ الجزائري يعرف أن أمنية القس لم تتحقق؛ لأن الأتربة نثرت (في 28 جويلية 1864)، إلا أن الاحتلال الفرنسي استمر إلى سنة 1962؛ أي بعد الحادثة بقرن إلا سنتين .

إن القارئ يعرف مسبقاً أن هذا الاستشراف لم يتحقق أثناء سرد الأحداث، فالإجابة عن هذا الاستشراف لم تتحقق؛ لأن الحرب لم تتوقف .

و من خلال المثالين السابقين ننوه إلى أن هذا النوع من الاستشرافات قليل الاشتغال في مدونة كتاب الأمير .

كما نستشف من خلال المثال الثاني أن هذا النوع من الاستباق غير مقيد بفترة زمنية محددة؛ أي إن **زمنه مفتوح**، فالرغبة التي لم تتحقق خلال المسار السردي للرواية تركت الزمن مفتوحاً، بإمكانية حدوثه مستقبلاً، فالروائي فيه يكون أكثر استقلالية عكس الاسترجاع المقيد بالرجوع إلى فترات محددة .

-الاستباق الخارج حكائية : ويسميه جيرار جنيت بالاستباقات غيرية القصة، وهذا النوع لا يهدده خطر التداخل بين الحكاية الأولى و الحكاية الثانية. 35

من خلال تتبع مسار اشتغال الاستباقات المتوفرة في رواية كتاب الأمير، لاحظنا عدم وجود هذا النوع من الاستباقات، وحتى إن وجدت بعض ملامحه فهي مطروحة بشكل غير واضح، لذلك سنتجنب دراستها لتفادي الوقوع في الخلط بين الاستباق التابع لمضمون الرواية، وما ورد في التلميحات.

2-2. الاستباق الخارجي : وهذا النوع من الاستباقات « في أغلب الأحيان يكون له وظيفة ختامية تصلح للدفع بخط عمل ما إلى نهايته المنطقية.». (36)

كما يتضمن هذا النوع «مجموعة من الحوادث الروائية التي يحكيها السارد بهدف اطلاع المتلقي على ما سيحدث في المستقبل.». (37)

إن لهذا النوع مظاهر يقدم وفقها، إما عن طريق العناوين، أو بتقديم ملخصات تمهد لما سيحدث . 38

وما أكثر الاستباقات الخارجية المقدمة عن طريق العناوين، والتي سنحاول إجمالها من خلال الجدول التالي :

الصفحة	عنوان الوقفة	الوقفات	الأبواب	
21	- مرايا الأوهام الضائعة	-الوقفة الأولى	باب المحن الأولى	1
39	- منزلة الابتلاء الكبير	-الوقفة الثانية		
87	- مدارات اليقين	-الوقفة الثالثة		
123	- مسالك الحنية	-الوقفة الرابعة		
173	- منزلة التدوين	-الوقفة الخامسة		
209	- مواجه الشقيقين	- الوقفة السادسة	باب أقواس	2
279	- مرايا المهاوي الكبرى	-الوقفة السابعة	الحكمة	
325	-ضيق المعابر	- الوقفة الثامنة		
361	-انطفاء الرؤيا وضيق السبيل	- الوقفة التاسعة		
439	- سلطان المجاهدة	- الوقفة العاشرة	باب المسالك	3
479	- فتنة الأحوال الزائدة	-الوقفة الحادية عشر	والمهالك	
545	- قاب قوسين أو أدنى	-الوقفة الثانية عشر		

الجدول رقم: (1) الاستباقات الخارجية المقدمة عن طريق العناوين

هذه العناوين عبارة عن ملخصات قبلية لما سيحدث في الفصل الذي تتصدره، وتكون عبارة عن النافذة التي يطلع من خلالها القارئ على مسار الحكيم، فتولد لديه نوعا من الخلفية المرجعية لارتباط الدلالة بينها وبين النص .

وسنأخذ على سبيل المثال لا الحصر الوقفة الخامسة، منزلة التدوين للتعرف على كيفية اشتغال هذا النوع من الاستباقات، من خلال العنوان يتبادر إلى أذهاننا أن النص الذي يليه يتحدث عن مكانة الكتابة في حياة كل من الأمير، ومونسينيور ديوش .

فالأمير بعد سجنه في قصر أمبواز رأى أن حياته مغمورة، وأن الاتهامات الموجهة إليه بسبب استسلامه قد تطعن في حقيقته التاريخية مستقبلا، فرأى أن السبيل الوحيد لحفظ

ذاكرة الأجيال من التلف والظعن أن يقوم هو بتدوين مذكراته، لذلك نجده يملئ على مصطفى بن التهامي سيرته الذاتية، فقد كانت إجابته عندما سأله مونسينيور عن جدوى كتابته سيرته رغم أنه شخصية معروفة لدى الجميع لا تحتاج إلى من يعرف بها، قال:

«المشكل لا يهمني شخصيا ولكني أشعر أن ما قاله لي السي مصطفى دقيق و صحيح نكتب حياتنا مثلا عشناها بدون زيادة أو نقصان أفضل من أن يروها غيرنا عنا بوسائله التي ليست دائما طيبة. ليس أفضل من امرئ يقول تاريخه وينير الطريق للناس الذين قاسموه نفس الأشواق والآلام. الآخرون الذين يشتهون تأويل التاريخ كما تقول لهم رؤوسهم لا يسألون أحدا عندما يريدون الإساءة يا سيدي الفاضل.» (39)

و المتأمل يجد بأن هذه الفقرة تبرز أهمية التدوين في حياة الأمير، وهذا ما لمحت إليه الإحالة القبيلة المتمثلة في العنوان.

الأهمية نفسها التي احتلها العنوان في حياة الأمير، احتلها في حياة مونسينيور فقد كان يمثل تلك الرغبة الجارحة التي سعى طيلة الحكمي إلى تحقيقها، وتحمل متاعب السفر ومواجع الألم من أجل إتمام الرسالة الموجهة إلى الرئيس نابليون.

كذلك وصفت مكانة التدوين في هذا الفصل في الإشارة إلى فحوى الرسائل المتبادلة بين الطرفين وخاصة تلك الرسائل المخصصة للمفاوضات بين بيجو والأمير من أجل إحلال الهدنة « فقد التقى مع ابن دوران واقترح عليه بدء المفاوضات في رسالتك الموجهة له، ثم أخرج الأمير رسالة من حقييته الجلدية التي لا تغادر ظهره.

اسمع هذا الجزء من الرسالة التي بعثها له. هل نحن تحت إمرتك حتى يبعث لنا بمثل هذه المراسلات. لقد أشدت بقواتك ونحن نذكرك بشجاعة أبطالنا ومستعدون للموت مؤمنين إذا اقتضى الأمر. أعتقد أننا في حاجة إلى لغة أخرى في مجال السياسة.» (40)

فبرسالة يمكن للهدنة أن تتحقق، وبها يمكن للحرب أن تستمر أو تتوقف.

إن العنوان هنا مقارنة بالنص يعدّ مقطعا خارجيا عن مضمون الرواية، ولا يمكن أن يتصل به بأي شكل من الأشكال زمنيا، فجيء به لإزاحة الرتبة التي يقع فيها القارئ عادة أثناء

متابعته للقراءة من أجل الوصول إلى الخواتم، فهذه الحركية في الاستقبال تجدد الطاقة الاستيعابية للمتلقي .

إن العنوان ما هو إلا مظهر من مظاهر الاستباقات الخارجية إلى جانب *الملخصات المقدمة للإشارة إلى ما سيحدث مستقبلا*، والمثال الآتي يبين كيفية صياغة هذا النوع من الاستباقات: «*أخيرا اقتنعوا؟ أتمنى أن لا يحدث ما يغير الدنيا رأسا على عقب، تتم مونسينيور ديوش في أعماقه وهو يعبر الساحة الشرفية تحت وقع الأمطار التي زادت حدتها ليختفي نهائيا داخل البهو المؤدي إلى قاعة المناقشات.*» (41)

مونسينيور في 17 جانفي 1848، وأثناء حضوره إحدى جلسات البانكي المخصصة لمناقشة قضية الأمير، كان يشعر قبل دخوله قاعة المناقشات أن الأمور لن تسير حسب ما يرجو، لذلك نجد الكاتب قد مهد لكل ذلك بهذا الملخص الوارد في *الصفحة 26*؛ أي في خاتمة *الفصل الأول من الوقفة الأولى*، ومهدا لما سيحدث في *الفصل الثاني في الوقفة نفسها*.

كما لخص السارد في هذا الملخص القصير الاستباقي الأحداث التي ستقع و ستضرب بمصير الأمير، وبالفعل فإن المناقشات التي حدثت بين رئيس المجلس *غيزو (Guizot)* ونوابه، تركت القضية معلقة، ومع الأحداث الحاصلة في البلاد (فرنسا) فإن قضية الأمير نسيت تماما، ودفع ثمن ذلك البقاء في السجن إلى غاية سنة 1852 . إن لهذا النوع وظيفة مهمة تضع القارئ في الخانة التي تمكنه من الاطلاع على الجو العام لمقتضيات الحكيم، حتى قبل وصوله إلى الأحداث المكتملة للبناء الروائي .

و بعد التعرف على كيفية اشتغال الاستباقات، والاسترجاعات نستطيع القول إن هذه المفارقات الزمنية أدت دورا هاما في تنشيط مسار الحكيم عن طريق الخلطة الزمنية التي تكسب النص جاذبية المقروئية، وتجنبه الرتابة المنقصية من قيمته الجمالية، والفنية.

إن الروائي بمقدار تحكمه في سيرورة الزمن، إلا أن هناك بعض الانزياحات التي تفرض نفسها عليه في الساحة الإبداعية، ومن خلالها يثبت الكاتب جدارته في بناء السلم الزمني حتى لا يقع في مناهات الخلط التي قد تؤدي به إلى تجاوز الزمن الفاعلي، ويبقى ما أورده عبارة عن تشويش منفر للمتعة الفنية التي يمكن أن يحظى بها القارئ أثناء عملية التلقي .

الهوامش والمراجع والمصادر

- (1)- حميد لخداني:بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط:01، الدار البيضاء،بيروت، 2000،ص:74.
- (2)- حسن مجراوي:بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط:01،بيروت، الدار البيضاء، 1990، ص : 121 .
- (3)- جيرارجنيت: خطاب الحكاية، تر:محمد معتصم و آخرون ، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط:1997،2،ص:61.
- (4)- واسيني الأعرج :كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد،منشورات الفضاء الحر،ط:01،2004، ص:57.
- (5) – المصدر نفسه،ص:180.
- (6)- المصدر نفسه ،ص: 313.
- (7)- جيرارجنيت: خطاب الحكاية،ص:62.
- (8)- واسيني الأعرج :كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد ، ص: 106 .
- (9)- المصدر نفسه، ص: 308.
- (10)- المصدر نفسه، ص: 29.
- (11)- المصدر نفسه، ص: 354.
- (12)- جيرارجنيت: خطاب الحكاية،ص:64.
- (13)- واسيني الأعرج :كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد ، ص: 55 .
- (14)- المصدر نفسه، ص: 368.
- (15)- أحمد مرشد: البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،دار الفارس للنشر و التوزيع،ط:01،بيروت، عمان، 2005،ص:257.
- (16)- جيرارجنيت: خطاب الحكاية،ص:71،70.
- (17)- واسيني الأعرج :كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد ، ص: 56 .
- (18)- المصدر نفسه،ص: 330 .

- (19) - جيرار جنيت: خطاب الحكاية ، ص: 61، 60.
- (20) - واسيني الأعرج كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 29.
- (21) - المصدر نفسه، ص: 127.
- (22) - ينظر: جيرار جنيت: خطاب الحكاية، ص: 70.
- (23) - واسيني الأعرج كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 54.
- (24) - نضال الشمالي: الرواية و التاريخ ، جدارا للكتاب العالمي ، عالم الكتاب الحديث، ط: 01، الأردن، 2006، ص: 165.
- (25) - جيرار جنيت: خطاب الحكاية، ص: 79.
- (26) - المرجع نفسه، ص: 79، 80.
- (27) - واسيني الأعرج كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 532، 533.
- (28) - المصدر نفسه، ص: 524.
- (29) - المصدر نفسه، ص: 484.
- (30) - ينظر: جيرار جنيت: خطاب الحكاية، ص: 81، 80.
- (31) - واسيني الأعرج: كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 95.
- (32) - المصدر نفسه، ص: 96.
- (33) - المصدر نفسه، ص: 97.
- (34) - المصدر نفسه، ص: 15.
- (35) - ينظر: جيرار جنيت: خطاب الحكاية، ص: 79.
- (36) - المرجع نفسه، ص: 77.
- (37) - أحمد مرشد: البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ص: 267.
- (38) - ينظر: المرجع نفسه، ص: 267.
- (39) - واسيني الأعرج: كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ص: 175.
- (40) - المصدر نفسه، ص: 181، 180.
- (41) - المصدر نفسه، ص: 26.